خطبة صلاة الجمعة 8/ 1/ 2016 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(أنوار الحبيب صلى الله عليه وسلم–4–)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:56]

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 128]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع ومشفَّع»** رواه مسلم.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: **«كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُسَمِّي لنا نفسَه أسماء، فقال: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا المُقفَّي، ونبيُّ التوبة، ونبي الرحمة»** أخرجه مسلم .

هذه هي الخطبة الرابعة من خطب شهر ربيع الأول عنونتها **(أنوار الحبيب صلى الله عليه وسلم)** أكرر فيها الحديث عن رسول الله لأن في ذكر الحبيب ترويحاً لأفئدة المحبين وترياقا لآلام البعاد ورضاً لرب العالمين، ولأن في ذكر الحبيب غيثاً يروي القلوب التي كوتها نيران الحب وماءً يبرد أكباداً أحرقتها لواعج الشوق .

عرضت الخطبة الأولى أحاديث تصف رسول الله صلى الله عليه وسلم والخطبة الثانية أقوالاً لشرقيين وغربيين من غير المسلمين يصفون رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويشهدون له بالسبق إلى الكمال

والطهر في الخصال. والثالثة طرفاً من تَعْظِيمِ أَمْرِهِ صلى الله عليه وسلم وَوُجُوبِ تَوْقِيرِهِ وحبه وبرّه ، وتعرض خطبة ومضات من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أيها الإخوة:

قراءة سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم تزيد معرفتكم فيه وتعمق إيمانكم به وتعظم محبتكم له.

قراءة سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم تيسر الاقتداء به وتعلم فقه الدعوة على نهجه وتُبَصِّر بجيل صحابته الكرام.

قراءة سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم تعين على فهم القرآن، وتفتح على المسلم أنواعاً من العلوم والأحكام الإسلامية.

ولذلك رأيتَ أجيال المسلمين تتربى على سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، روى ابن عساكر بسنده عن زين العابدين علي بن الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهم قال: «كنا نعلَّمُ مغازي رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، كما نعلَّم السورةَ من القران» .

وجاء في شرح المواهب عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «كان أبي يُعلِّمُنا المغازي والسرايا ويقول: يا بني هذه شرف آبائكم، فلا تضيعوا ذكرها».

وكان الإمام ابن شهاب الزهري عالم الحجاز والشام وهو من قدماء من عُنوا بجمع السيرة، يقول: «في علم السيرة علم الدنيا والآخرة».

وها أنا أختار لكم اليوم ومضتين من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرؤهما عليكم من كتابيين أثيرين على قلبي أولهما (الرحيق المختوم) للشيخ صفي الرحمن المباركفوري وهو شيخ هندي نال على كتابه هذا جائزة أحسن بحث في السيرة النبوية قدمتها له رابطة العالم الإسلامي عام 1399 للهجرة .

وثانيهما (مختصر الجامع في السيرة النبوية) للأستاذة الفاضلة سميرة الزايد ، وقد حاز كتابُها ثناء الكثير من العلماء.

– الومضة الأولى: المسلم واضح الهوية يداري ولا يداهن.

جاء في الرحيق المختوم للمباركفوري في مرحلة الدعوة المكية أن قريشا سلكت أساليب شتى لمواجهة الدعوة ، فركبت السخرية والتكذيب والاستهزاء حينا، وأثارت الشبهات على الإسلام

ورسوله حينا، وعارضت القرآن بأساطير الاولين مرة ثالثة، وعذبت وقتلت وحاصرت من آمن حينا رابعاً.

ومن جملة محاولاتها في مجابهة الدعوة الإسلامية أنها قدمت مداهنات فيها أنصاف الحلول و (مساومات حاولوا بها أن يلتقي الإسلام والجاهلية في منتصف الطريق بأن يترك المشركون بعض ما هم عليه، ويترك النبي صلى الله عليه وسلم بعض ما هو عليه (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) فهناك رواية رواها ابن جرير والطبراني تفيد أن المشركين عرضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعبد آلهتهم عاما، ويعبدون ربه عاما. ورواية أخرى لعبد بن حميد تفيد أنهم قالوا: لو قبلت آلهتنا نعبد إلهك » .

وروى ابن إسحاق بسنده، قال: اعترض رسولَ الله صلى الله عليه وسلم- وهو يطوف بالكعبة- الأسودُ بن المطلب بن أسد بن عبد العزى والوليد بن المغيرة وأمية بن خلف والعاص بن وائل السهمي- وكانوا ذوي أسنان في قومهم- فقالوا: يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيرا مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه، وإن كان ما نعبد خيرا مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه، فأنزل الله تعالى فيهم:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾

وحسم الله مفاوضتهم المضحكة بهذه المفاصلة الجازمة).

وهاهنا ومضة –**أيها الإخوة**- من السيرة المباركة تقول إن المسلم واضح الهوية بيّن العقيدة ، لعله يداري الناس حينا فيبذل دنياه ليسلم له دينه، لكنه لا، ولن يداهن بدينه يوما.

لعله يفاوض المخالفين على المباحات يتألفهم ليعيش معهم، لكنه لا، ولن يفاوض الخلق على المفروضات والمحرمات؛ فالخمر محرمة وليس ثمة تفاوض على تحليلها، والشذوذ فاحشة وليس ثمة مدراسة لاعتباره خيارا من الخيارات المأذون بها، والرشوة منبوذة وليس ثمة تفاوض على قبولها وتمريرها، والقرآن هو الدستور الكامل للمسلم وليس من مناقشات لإقصائه عن الحياة الدنيا والآخرة.

وهكذا نفيد من السيرة أن أنصاف الحلول تنفع في المباحات وليست تنفع في العقائد والتشريع.

اقرؤوا هذا في السيرة المباركة يوم جاءت سادات قريش إلى أبي طالب فقالوا له: يا أبا طالب إن لك سناً وشرفا ومنزلة فينا. وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه، وإنا والله لا نصبر على هذا، من

شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين.

عَظُم على أبي طالب هذا الوعيد والتهديد الشديد، فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له: يا ابن أخي إن قومك قد جاؤوني، فقالوا لي كذا وكذا، فأبق عليّ وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق، فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمه خاذله، وأنه ضعف عن نصرته، فقال: «**يا عم! والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر– حتى يظهره الله أو أهلك فيه– ما تركته**» ، ثم استعبر وبكى، وقام، فلما ولى ناداه أبو طالب فلما أقبل قال له: اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت، فو الله لا أسلمك لشيء أبدا » .

فالمسلم واضح الهوية بيّن العقيدة. يداري ولا يداهن.

-الومضة الثانية : حب الله ورسوله يفجِّر في النفس المعاني المقدسة ويخلص المرء من معايبه السلوكية.

جاء في مختصر الجامع في السيرة النبوية لسميرة الزايد: في معرض الحديث عن وصول رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة المنورة واستقبالِ أهلِ المدينة له وفرحِهم به وترحيبهم أنه صلى الله عليه وسلم نزل أولا في بيت أبي أيوب الأنصاري، تقول المؤلفة:

(وقد فرح أبو أيوب رضي الله عنه بنزول رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده، فقام بخدمته وكان يستعذب له من بئر أبي أنس مالك بن النضر بنفسه ، وكان شديد الحرص على راحته، قال أبو أيوب:

لَمَّا نَزَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِي، نَزَلَ فِي السُّفْلِ، وَأَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ فِي الْعُلْوِ، فَتَذَكَّرَ أَبُو أَيُّوبَ مَنْزِلَهُ فَوْقَ رَأْسِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وآله وَسَلَّمَ فَبَاتَ سَاهِرًا يَكْرَهُ أَنْ يَأْتِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عليه وآله وَسَلَّمَ فِي اللَّيْلِ فَيَسْتَأْمِرَهُ فِي التَّحْوِيلِ وَيُعَظِّمَ أَنْ يَكُونَ مَنْزِلُهُ فَوْقَ رَأْسِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وآله وَسَلَّمَ. فَلَمْ يَزَلْ سَاهِرًا حَتَّى أَصْبَحَ، فَأَتَاهُ فَقَالَ:

يَا نَبِيَّ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، إِنِّي لَأَكْرَهُ وَأُعْظِمُ أَنْ أَكُونَ فَوْقَكَ، وَتَكُونَ تَحْتِي، فَاظْهَرْ أَنْتَ فَكُنْ فِي الْعُلْوِ، وَتَنْزِلَ نَحْنُ فَنَكُونَ فِي السُّفْلِ، فَقَالَ: **يَا أَبَا أَيُّوبَ، إِنَّ أَرْفَقَ بِنَا وَبِمَنْ يَغْشَانَا، أَنْ نَكُونَ فِي سُفْلِ الْبَيْتِ**. قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سُفْلِهِ، وَكُنَّا فَوْقَهُ فِي الْمَسْكَنِ،

فَلَقَدْ انْكَسَرَ حُبٌّ لَنَا فِيهِ مَاءٌ فَقُمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ بِقَطِيفَةٍ لَنَا، مَا لَنَا لِحَافٌ غَيْرُهَا، نُنَشِّفُ بِهَا الْمَاءَ، تَخَوُّفًا أَنْ يَقْطُرَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ شَيْءٌ فَيُؤْذِيَهُ. فنزلت إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم وأنا مشفق فقلت: لا أعلو سقيفة أنت تحتها ، ولم يزل يتضرع إليه حتى أمر النبي صلى الله عليه وسلم بمتاعه فنقل إلى العلو.

قَالَ أبو أيوب: وَكُنَّا نَصْنَعُ لَهُ الْعَشَاءَ، ثُمَّ نَبْعَثُ بِهِ إِلَيْهِ، فَإِذَا رَدَّ عَلَيْنَا فَضْلَهُ تَيَمَّمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ مَوْضِعَ يَدِهِ، فَأَكَلْنَا مِنْهُ نَبْتَغِي بِذَلِكَ الْبَرَكَةَ، حَتَّى بَعَثْنَا إِلَيْهِ لَيْلَةً بِعَشَائِهِ وَقَدْ جَعَلْنَا لَهُ بَصَلًا أَوْ ثُومًا، فَرَدَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ أَرَ لِيَدِهِ فِيهِ أَثَرًا. قَالَ: فَجِئْتُهُ فَزِعًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، رَدَدْتَ عَشَاءَكَ، وَلَمْ أَرَ فِيهِ مَوْضِعَ يَدِكَ، وَكُنْتَ إِذَا رَدَدْتَهُ عَلَيْنَا، تَيَمَّمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ مَوْضِعَ يَدِكَ، نَبْتَغِي بِذَلِكَ الْبَرَكَةَ، قَالَ: **إِنِّي وَجَدْتُ فِيهِ رِيحَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، وَأَنَا رَجُلٌ أُنَاجِي، فَأَمَّا أَنْتُمْ فَكُلُوهُ**. قَالَ: إني أكره ماتكره يا رسول الله. وَلَمْ نَصْنَعْ لَهُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ بَعْدُ.)

فهاهنا ومضة –**أيها الإخوة**– من السيرة العطرة تحكي عن حب الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا الحب الذي وسَّع ساحات قلوبهم وآفاق آمانيهم فغدوا بشرا من نمط ممتاز. ينشرون الحب والخير والنور للعالم، وحسبكم أن تعلموا الآن أن أبا أيوب الأنصاري الذي ولد في المدينة المنورة واستقبل النبي صلى الله عليه وسلم يوما في بيته فيها وكان في الثلاثين من عمره؛ مدفون في تركيا تحت أسوار القسطنطينية.! مات يوم مات فيها ناشرا الخير والبر والحب بين العباد وقد ناهز يوم وفاته الثمانين.

تقول كتب التراجم إن الروم قالت للمسلمين في صبيحة دفنهم لأبي أيوب: لقد كَانَ لكم الليلة شأن، قالوا: هَذَا رجل من أكابر أصحاب نبينا وأقدمهم إسلاما، وقد دفناه حَيْثُ رأيتم.

قَالَ مجاهد: وكانوا إذا أمحلوا يستسقون بقبره.

فالحب يفجَّر في النفس الإنسانية عجائب السلوك وغرائب المعاني المقدسة السامية، ويفجَّر فيها معاني التضحية والفداء ، وليس شيء يُخَلِّص المرء من معايبه النفسية والسلوكية مثل الحب.

ولكن أيُّ حب... إنه حب الله تعالى ذلك الحب المقدس الذي يوصل إليه حب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أيها الإخوة:

هذا طيف من أنوار سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فأكثروا من الصلاة والسلام عليه واجتهدوا أن تهتدوا بهديه وتتأسوا بسنته.

والحمد لله رب العالمين